المجلد07/ العدد01/ 2021. ص 14- 19

الإتصـــــال ... والأبعـــاد الثقـــافيـــة

د/ حيدش سعد
جامعة الجزائر

ينمو العالم عن وعي عميق بما تجلبه العولمة وإنتاجها، فالتفاعل الاجتماعي الحاصل اليوم، أدى إلى تعقيد الحياة وظهرت في سبيل ذلك التحولات والتغيرات السريعة نتيجة الصناعة الالكترونية، وتزايد إنتاج تكنولوجيا الاتصال أثرت على الأساليب التقليدية الاجتماعية، وإذا توقفنا عند المنتوج الثقافي للآخر، فإن التمسك بحداثته المتطورة والسريعة التغيير يبدو أنه ليس مشروعا مجتمعيا وإنما يدخل في دائرة عملية التكديس، وهذه الأخيرة لا تصنع حضارة بتعبير مالك بن نبي, ولأن الحداثة كذلك ليست أوامر وقرارات فوقية ترتجل لتطبق وتجسد، وهي ليست عبارة عن تعليمات وتدابير تتخذ فتكون سارية المفعول، في هذا يشير الكاتب فارح مسرحي في كتابه الحداثة في فكر محمد أركون، أن الحداثة في الأصل فعل تحقيبي يتأسس على التقليل من تأثيرات التراث على المعتقد الفردي والمجتمعي، مما يدفع بعملية المزيد من التحرر، ومن ثم فإن الفعل الحداثي لا يمكن ممارسته كإنطولوجيا على حد ما أشار إليه محمد أركون، وبمفهوم آخر يرى الباحث بودومة عبد القادر أن العودة إلى الحفر في التراث ونقد مادته لا يولد لنا حداثة جاهزة، لأن المشروع الهادف مبدؤه الانفتاح على الراهن ومستجداته، وبفهم التراث اللغوي أنه يساعدنا على عملية الاندماج في فضاءات الحداثة والحوار العقلاني.

يذكر في هذا الباب أن الثقافة تتطور برعاية اللغة وتنميتها في الوسط الاجتماعي، إذ أن للثقافة ارتباطا باللغة حيث تعكس هذه الأخيرة طبيعتها بالانتماء والتأثير والتفاعل الاجتماعي والتحولات نتيجة التبادل والاتصال الحاصل بين الأفراد والمجتمعات، وهو ما يشكل وعيا إنسانيا وحضاريا، وبصورة ما فإن النهوض باللغة العربية هو عامل كبير في تطوير الثقافة، فلذلك يذكر الدكتور طه حسين أنه أكد ذات مرة بقوله:(أن اللغة العربية لن تتطور ما لم يتطور أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حية إلا إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون قادرة على الوفاء بحاجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر ثقافة وسلوكا وإسهاما وأخذا وعطاء) (الهيتي.2003. 203). وباعتبار أن الثقافة هي نسيج من الأفكار والمعايير والقوانين والأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تعطي الوجه الحقيقي للمجتمع وتعكس آفاقه وطموحاته، فإنه كلما كانت منظومة القيم أكثر حضورا ورسوخا ورقيا، كلما تألق مجتمعها وتطورت سبل حياته ونمت أطواره، وهو الشيء نفسه الذي أشار إليه عابد الجابري، بأن الثقافة يمكنها إن ارتفعت أن ترتفع بالوطن العربي من مجرد رقعة جغرافية إلى وعاء للأمة العربية (العجاتي.2003. 61). وبإزاء هذه الحركة الثقافية فإننا نجد غياب الميكانيزمات، وهذا ليس دليل ضعف الثقافة العربية وإنما هي في حاجة إلى ثورة على غرار ما تشهد الساحة العربية من حراك اجتماعي وتحولات في المنطقة بما يسمى الربيع العربي ينعكس أطره على جميع المستويات والمجالات وهي فرصة لتكريس الهم الثقافي داخليا بدلا من استيراد النموذج الرأسمالي الثقافي الذي أضحى بديلا بعد سقوط جدار برلين سنة 1989.

واعتبارا أن لكل مجتمع ثقافته ينطلق منها في تحديد أفقه وسياقاته الفكرية ومنطلقاته الراهنة والمستقبلية، تدافع هذه الثقافة بدورها عن توجهاتها، كما ركز بذلك غرامشي في تناوله لزاوية المثقف العضوي المتمسك بالروح المرجعية والهوية المجتمعية، حينما أكد على الجوانب الثقافية وأهميتها في صناعة المجتمع وتنميطه وكذا دورها في تشكيله وربط الوعي الثقافي للطبقة في بناء المشروع الاجتماعي من خلال دور المثقفين العضويين الثوريين الذين يهيمنون بفعل ثقافة ثورية على قوى الإنتاج والنظام السياسي، وبذلك يكون للثقافة في المفهوم الماركسي دور في الوعي الفردي والاجتماعي حسب ما

يعتبره غرامشي الذي يكون بذلك مناقضا للحتمية الاقتصادية إزاء تشكيل البناءات المجتمعية (عثمان.2008. 161)، ومن ذلك تلعب الثقافة في تشكيل آليات حركة المجتمع وتفاعله المتواصل، وبعبارة أخرى فإن الثقافة هي المظهر الخارجي لهذا الحيز الاجتماعي وتنبئ على خباياه الفكرية وخلفيته الفلسفية، ومن جهته يوضح د.حسن عبد الحميد رشوان ذلك أن الاتصال يمكن من إحداث تفاعل بين الطرفين، وفي ذلك أنه لا يمكن اعتبار الحياة الاجتماعية بلا أشكال تفاعلية سواء كان هذا التفاعل مباشرا كحركة الفرد أو تفاعلا رمزيا مثلما يحدث من الإشارات أو الإيحاءات والأصوات وغيرها من الأشكال، إذ يرى أن التفاعل هو الاتصال بين طرفين مؤثر ومتأثر وبصيغة متبادلة كذلك، وفي ذات السياق يعرب بأن الفعل الثقافي في أي مجتمع ما هو إلا مظهر لحياة مجموع الأفراد تظهر في جملة السلوكات والأفكار والتقاليد وتندمج هذه الثقافة مع الأفراد مشكلة أنماط حياة تتداول بين جيل وجيل، وخلص في الأخير أن الثقافة والمجتمع وجهان لعملة واحدة، فلا نتصور مجتمع بدون ثقافة ولا ثقافة بدون مجتمع (رشوان. 2006. 149.151).

وفي إشارة إلى عمق التبعية الثقافية وكذا الارتباط والاتكال على غيرنا، بحيث يصبح اتصالنا اتصالا قهريا بغية سد حاجاتنا وإشباع رغباتنا الاستهلاكية، وهو الشيء الذي أدى إلى تفسير هذا المنظور من قبل عابد الجابري بأن ثقافتنا لم تستوعب بعد استيعابا فاعلا أسس الحضارة المعاصرة، أسسها العلمية والتقنية، لا على مستوى الفكر...و لا على مستوى العمل...ولا نزال نعيش صدمة الحداثة على مستوى الفعل وردة الفعل اللذين يحركهما التنافر والتناقض، وليس التفاعل والتكامل(العجاتي.2003. 67).

- الركض نحو زاويـة الاحتــواء:

إن الاهتمام بالثقافة واستغلالها كمورد من الموارد الحديثة، والاعتماد على معرفة المعلومة كمصدر حديث لتنمية الطاقات الاجتماعية بعد الثورة الزراعية والصناعية، شكل ذلك انعكاسات على الطبيعة الإنسانية إذ يثير باحثو ما بعد الحداثة مضاعفات أضرار الصناعة على الإنسان بما يسميه أولريش بيك بمجتمع المخاطرة، وهو ما يؤكده جهان سليم بأن الثقافة هي من إنتاج هذه التفاعلات الاجتماعية، التي تتواصل عبر الحقب الزمنية مشكلة بذلك الاتصال الثقافي المتغير والمتجدد في الآن نفسه، وأن صناعة المعرفة أصبحت هي القوة كما يشير بذلك فوكو، وهي المصلحة ذاتها التي تقود إلى التبادل والجدل حسب مفهوم هبرماس، وفي تحديد مفهوم الثقافة ضمن السياق التاريخي، والممارسة النقدية التي طرحها عابد الجابري الذي اعتبر الثقافة مركبا متجانسا من مجموعة من الذكريات والتصورات والقيم والعادات والتقاليد، التي تحتفظ بها مجموعة من البشر والتي تشكل أمة أو شعبا بطريقة تعبر عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت وقدرات البشر(سليم جهان.2003. 228).

وفي ذلك بلورت الثقافة فلسفة الإنسان وفلسفة المجتمع عند مالك بن نبي وهو في هذا يربط بين المفهوم الغربي للثقافة الرأسمالية وبين المفهوم الاشتراكي، كما يحددها أيضا أنها تصبح بهذا التقدير نظرية في السلوك أكثر منها من أن تكون نظرية في المعرفة، فالثقافة في مفهومه هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا النحو هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته(بن نبي.1985 .83).

هذه النظرة عند مالك بن نبي لها أهمية في الربط بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة إذ يشير إلى البيئة الاجتماعية التي تصاغ فيها الشخصية وإلى المحيط الذي يتعايش فيه الفرد الحضاري، وهو ما أمكن له الجمع بين الفلسفتين الإنسانية والاجتماعية، أي كما يسميها معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع ضمن قيم ومعتقدات واحدة، وهي الفكرة الدينية المتضمنة في منظومة الرموز الثقافية، والتي تبقى كشرط أساسي لبناء مشروع مجتمعي، وعلى الرغم من توظيفه لبعض الأبعاد الاتصالية إلا أنه لم يفصح عنها صراحة فالتصور الذي طرحه في كيفية التفاهم بين الطرفين يرجع إلى علاقة انتمائهما إلى لغة واحدة وتقاليد مجتمع واحد، حتى وإن اختلفا في الظروف الاقتصادية والاجتماعية ومنطلق الوظيفة،

كما هو المثال الذي وظفه عند الطبيب الانجليزي والراعي الانجليزي، واتفاقهما على مرجعية ثقافية مشتركة، هذا التفاهم والتواصل بين الطرفين طرقه الباحث (ولبور شرام) سنة1959 في مفهوم الخبرة المشتركة أو بما يسمى بالإطار الدلالي الذي يربط بين جهتين أو شخصين لهما نفس المخزون المعرفي، حيث يؤدي بهما في الأخير إلى التوافق والتفاهم وتحقيق الهدف للرسالة نتيجة لذلك الإطار اللغوي والمعرفي المشترك، وهو الأمر نفسه استخدمه مالك بن نبي سنة 1941 بصيغة مغايرة ضمن سياقات النص البنابي(بن نبي.1985 .82).

- الإنسان والإنفراد بالرموز:

إن مكمن مسألة إنفراد البشر بالرمز دون بقية الكائنات الأخرى قد عالجها العديد من المفكرين مثل نعوم تشومسكي وستيفن بينكر في إطار السؤال الدائم الطرح، وهو لماذا لا تتكلم الحيوانات في الواقع؟ عكس ما يطرح في أفلام الكارتون للأطفال، لكن تبقى عملية الفهم لهذه الدراسات عميقة متعلقة بتطور اللغة وامتداد الوعي عند الإنسان، فالطبيعة المركبة للعقل البشري تختلف عن صورة الحيوان في المكونات والوظيفة، ويضيف (ديكون) في نظريته حول التطور المشترك للمخ /اللغة، أن ما يميز الإنسان عن سواه من الكائنات هو القدرة على التمثيل الرمزي وما يلزمه من ربط بين الأشياء النادرة التي عادة ما تكون رابطا مشتركا بينهما، وهذه القدرة طبعا تنعدم عند الحيوانات فيكفيها أن تربط بين الصورة والشيء، دون التفكير الإيحائي الذي له قدرة خاصة عند الإنسان فقط، كما يشير أيضا أن مخ الحيوان الشمبانزي مثلا يكتمل نضجه قبل الولادة، في حين أن مخ الإنسان يأخذ فترة طويلة يتدرج من خلالها نحو النمو بعد الولادة، ويتضح هذا في بنية التكوينات وطبيعة الوظائف كل منهما، كما تتناول الاختلافات أوجها عديدة في الحياة الاجتماعية(ديكون2014. 9/7)

وتبقى الميزة الكبرى في العنصر البشري أنه كائن ثقافي يحمل منظومة الرموز الثقافية معه، وهذا ما يميزه عن الموجودات الأخرى، وهو السؤال الجوهري الذي طرحه أيضا العالم الاجتماعي محمود الذوادي مفاده، هل الإنسان كائن ثقافي بالطبع؟ زيادة لما حلله الفلاسفة والمفكرون أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، وترتكز دلالة الذوادي على أن استهداف الإنسان هو تحطيم فكره وتوجيه سلوكه، ويلخص فكرته في بعض النقاط التي تؤكد على أن الإنسان كائن ثقافي قبل أن يكون كائنا اجتماعيا(الذوادي.2012. 19). ومن بينها أنه مزدوج الطبيعة (مادي- روحي), فضلا أن الرموز الثقافية من اختصاصه، ويتبين من خلال نظرية الذوادي أن ما يخلد وراء الإنسان بعد فنائه ماديا هي المنظومة الرموزية الثقافية أي الفكر، وهو ما تميزه هذه المنظومة عن بقية الكائنات الأخرى التي تنتهي بانتهائها، ويركز من منظور هذه الرموز الثقافية على عنصرين هامين هما اللغة والدين، فاللغة تبقى أهم الرموز الثقافية الأخرى المختلفة من فكر وعلم ومعرفة وقوانين وأسطورة ومعايير ثقافية وغيرها، وهي تمثل الحجر الأساسي لهذه المنظومة، والدين من جانبه يعتبر المؤسسة التي تضبط الاتجاهات وطبيعة الأنماط الثقافية، والدليل على ذلك مركزية هذين العنصرين في الإنسان هو هجوم الاستعمار عليهما في كل الاحتلالات وخاصة تداول الاستعمار في الوطن العربي وكذا نشاطات وانشغالات المستشرقين ودراستهما آنذاك خير دليل على ذلك، من فسخ للقيم الدينية وطمس معالم اللغة باعتبارهما محور الحديث في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمع.

وبذلك يتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بميزة اللغة باعتباره ناطقا جوهريا لتهيؤ أعضائه لذلك بيولوجيا وهي خلقة أساسية، أصبحت اللغة بذلك لازمة ودائمة للفرد، وتضيف زغدودة ذياب أن علاقة الإنسان بالأخر لتأدية مهمة ضرورية في الحياة اضطرته هذه الحاجة إلى الاتصال، فكانت اللغة هي الأداة الأكثر استخداما لتحقيق صيرورة الوجود المجتمعي، باعتبار أنها تقوم بوظيفة اجتماعية أثناء الاتصال نظرا لارتباطاتها العميقة بكل أصناف السلوكات الاجتماعية، وفي هذا باتت الصلة وثيقة بين اللغة وعلم الاجتماع، فكان بذلك علم اللغة الاجتماعي الذي يدرس اللغة في

نظامها الاجتماعي، حيث نجد أن اللغة لها ارتباط بالبنى الفوقية وبالنسيج الثقافي والسياسي ويتفق في هذا الاتجاه كل من دوركايم ودي سوسير على أن اللغة ظاهرة اجتماعية بامتياز.

ويذكر ابن حزم الأندلسي في هذا الحكم أن اللغة تحيا وتتطور في ظل قوة ضاغطة، كباقي المكتسبات الأخرى تتأثر بالعوامل الطبيعية فيذوب جزء منها عبر الحقب. ويتضمن علم اللغة الاجتماعي بعض التعابير المحظورة في جملة العادات والأعراف المجتمعية، فضلا عن دراسة اللهجات المحلية والفروق بين الجنسين وتباينهما بين الثقافات المختلفة، إلى جانب أن اللغة تظهر مستوياتها الطبقية وكذا في بعض الخصائص المهنية و حتى في المركز الاجتماعي للفرد من حيث الكلام وتحديد المفردات والملفوظات عموما(زغدودة.2005/16. 129.128). كما تتمكن اللغة كوسيلة اتصال من تجذير الوضع الاجتماعي من خلال التفاعلات الرمزية، وبواسطة المعنى الذي تحمله الرموز ضمن النشاطات الاجتماعية التي تشكل لنا النظام الاجتماعي لكونه بعدا اتصاليا، حيث إذا فقدنا هذا الأخير نتيجة تفككه أو انقطاعه قد يؤدي إلى تحلل النظام الاجتماعي وتلاشيه...

وعلى هذا الأساس تنظر التفاعلية الرمزية كمقاربة بتمعن شديد إلى البنية اللغوية كوسيلة اتصال محايثة للنسق الاجتماعي المركب من تفاعلات الأفراد الذين ينتجون إزاء ذلك المعاني التي تعبر في حقيقتها عن ظاهرة مجتمعية حسب تعبير عزي عبد الرحمان(بن روان.2007 .32).

ومن قبيل العلاقة (الثقافة . اللغة) تطرح مسألة في غاية الأهمية كاحتياج الفرد إلى الرموز العقلية والسلوكية، يشير في هذا الأستاذ حسام الدين فياض في تحليله للسلوك، أن الفعل الاجتماعي لا يحدث إلا إذا كان هناك هدف أو لتحقيق معنى له، نظرا لأن الأفعال الغريزية لا تقع من خلال أهداف عقلية مدركة أو حالات واعية، إذ تنبع هذه السلوكات من بواعث الوجود البيولوجي والمطالب العضوية، وفي هذا يخلص إنه لا ثقافة خارج طبيعة النص الإنساني، فاللغة تتمثل في مجموعة رموز، فإنها بذلك تتنقل بالأفراد من الجماعة البشرية إلى المجموعة الثقافية، وهي في هذا أي اللغة لها طبيعة قهرية على الفكر الإنساني خلافا لبقية الروابط الأخرى، وفي القصد تبقى اللغة متميزة في موضوع الاتحاد بين أعضاء الجماعة، وكذا في توحيد المجتمعات بفعل تجانس الرموز الثقافية (حسام الدين فياض 2017. 13/2).

- بنية اللغـة وتجليات الاتصــال :

يعد تقدم اللغة دافعا حقيقيا يرفع من قيمة الثقافة التي تساهم في الوعي الاجتماعي وتحافظ على خصوصية التراث المعرفي والمادي للمجتمع وتؤكد على حضوره الدائم، وفي هذا يعتبر العالم ليفي شتراوس من بين أبرز المهتمين بالبحث حول علاقة اللغة بالثقافة، وهو من المساهمين الكبار في بناء البنيوية اللغوية خصوصا ما تجلى في مؤلفه الانثروبولوجية البنيوية، وقد رأى من منظوره أن اللغة كمنتج للثقافة، كما اعتبرها خاصية وجزئية من الثقافة في الوقت نفسه، إضافة إلى ذلك فقد أكد أيضا أن اللغة شرط أساسي لوجود كيان ثقافي، وبالتالي فلا ثقافة بدون جوهر لغوي إذ بفضل هذه الأخيرة تكتسب الثقافة.

وفي هذا الاتجاه ساهم (أدوارد سابير) بفكرته بأن اللغة قاعدة صلبة لموضوع الانثروبولوجيا، وهي سمة بارزة وعضوية للثقافة(زمام.2007. 169)، نظرا لأن اللغة تتعايش ضمن التفاعلات الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد، كما تفرض نفسها على الضمير الجمعي، وهي بذلك تمارس هيمنة على المجتمع وتجلياته الفعلية تحمل صفة قهرية كما عبر عنها دوركايم، والأمر ذاته أن الإنسان يحتاج إلى اللغة لتحقيق بعض الأهداف الوظائفية منها أن اللغة تقوم بالوظيفة الاتصالية أي تكوين محتويات لغوية دالة تنتقل بين طرفين، باعتبار أن اللغة باستطاعتها أن تجسد الثقافة والفكر في أقنية اتصالية، وبذلك تعبر بوجودها عن البيئة الاجتماعية، والمجتمع في حقيقته يشكل الوجود الاتصالي، ومن زاوية الوظيفة الاتصالية للغة تنتج الفكر وتحدد مفهومه وهدفه وهي مؤثر فيه يحدث تكامل بينهما، حيث أن مسألة النهضة الثقافية تتشكل من أبجديات اللغة، وهي كذلك نموذج إنساني وحضاري تعكس المجهود الفكري والاجتماعي(الهيتي

.2003. 200)، إذ أن عدم الاعتناء باللغة يهمش الثقافة ومنه الوقوف على أطراف الحضارة مهما كان نوع تواصلنا بالطرف الآخر.

وإذا سلمنا جدلا أن الاتصال ظاهرة لتبادل الآراء والمعلومات والمهارات بين طرفين، فإن اللغة هي الجزء الأوسع من هذه التبادلات المتكونة من الأفكار والآراء المتجسدة في المضمون الاجتماعي، حيث يمكن أن تفسر ذلك بأن الدراسة الاجتماعية أو الفعل الاجتماعي هو قاعدة لمفهوم علم الاجتماع على حد تعبير فيبر، فإننا لا يمكن أن نحلل هذا الفعل، إلا إذا درسنا عمليات التفاعل الاجتماعي داخل الحيز الاجتماعي المختلف، وإذا كان لابد من ذلك ينبغي تفكيك هذا التفاعل للاهتمام بتفسير مفهوم الاتصال ومضامينه ضمن الإطار الاجتماعي، ولفهم الاتصال لابد من تحليل العلامات والرموز التي تستخدم في هذا المجال، وبدورها فإننا لا يمكن فهم وتحديد هذه الرموز أيضا وتفكيكها إلا بإدراك ماهية الثقافة الاجتماعية، لأن هذه الأخيرة تتضمن اللغة السردية والتي بدورها تحمل معان وسمات لا يمكن فهم علاقات التواصل إلا بفهم حقيقة هذه الرموز والمعاني اللغوية لهذا المجتمع(قاسيمي.2011. 43)، وانطلاقا من ذلك فإن مفهوم الاتصال أوسع من مضامين اللغة، لأن اللغة ما هي إلا وسيلة من وسائل الاتصال أو هي الجزء الأكبر من هذه العملية الاتصالية (بن عيسى.1990. 77) .

وبما أن الأمر متضارب في النقاش أعتبر مارتن هايدغر من جهته أن اللغة ليست مجرد أداة اتصال أو وسيلة تتمثل في درجة أقل من وظيفة بقية الوسائل الأخرى، بل تعتبر الفضاء الأوسع الحقيقي الذي تتمكن فيه التفاعلات الاجتماعية من طرح سرديات مختلفة، وحسب تعبيره فإنه ليس هناك واقع يتحرك فيه البعد الإنساني بصورة مميزة دون وجود اللغة، إذ العلاقة مرتبطة بالفهم والاهتمام بالتأويل، يشكل هذا الغوص في الكينونة وأن اللغة أداة ممكنة للتعبير(مخلوف بوكروح. 2011. 42)، كما يؤكد أيضا جورج غادمير بأن عوائق ملكة التعبير اللغوي هي في الحقيقة عوائق للفهم ذاته، وهي بذلك تعتبر وسيلة لإعادة الإنتاج، وتجذيرا لمعنى الخطاب (عمر مهيبل.2005 .368).

وما يمكن استخلاصه في التحليل لظاهرة المادة الإعلامية المتعددة على شكل خطاب أو مقال أو نص أدبي أو رسالة أو محتوى إشهاري، أو بث إذاعي أو برنامج تلفزيوني. فإنها كلها محاور تندرج تحت فهم محتوى العملية الاتصالية، أما بخصوص التحليل الرمزي للغة فهو يتطلب من المحلل الكشف عن الصور البلاغية والقيمة الفنية والإحاطة بفنون التأويل والبعد السيميولوجي وصوره، وكذا الطبيعة الثقافية لمضمون الرسالة الإعلامية، حيث تتمثل هذه الأشكال في الإشارات والحركات، والصمت المطبق أو من خلال أيضا الموسيقى والتعابير الإيحائية، وكذا ملامح الوجه والهمهمات الصوتية وتعدد الألوان، كما تبرز كذلك في الفنون التشكيلية للوحات وغيرها من الأشكال التعبيرية المختلفة في طابع مسرحي مثلا أو شريط فيلم المتنوع النماذج .

وتعبر كل هذه الإحاطة عن كيفيات مختلفة لمنح فرصة للمحلل لتعدد قراءته لهذه اللغة التي توصف باللغة الموازية paralangage والتي تتطلب من المفسر الإلمام بالجوانب الرمزية وحقول الثقافة الاجتماعية، لتحليل الظواهر والمواقف التي تنشأ من خلال هذه الصور المتعددة للغة غير المباشرة التي ترتسم أحيانا في قصة أدبية أو في عرض مسرحي أو في كتابات روائية وخلفياتها الرمزية أو من خلال مشاهد فيلم يصور قسمات البنية الاجتماعية لمجتمع معين له تقاليده وثقافته المميزة .

ويظهر من خلال ذلك أن الاتصال عبر وسيلة اللغة المتباينة من حيث كونها لغة مكتوبة أو لغة شفاهية أو في إطار اللغة الموازية التي تنوعت ميادينها كما سبق ذكرها (أوزي.90.2008) تشكل كلها بعدا هاجسيا ضمن الرسالة الاتصالية من ناحية، ومن جهة ثانية فإنه من خلال اللغة أيضا تستطيع أن تمارس وسائل الإعلام والاتصال تأثيرا بليغا على الأفراد والمجتمع في مثل طبيعة الآثار المعرفية والعاطفية والسلوكية لكون هذه اللغة تحمل دلالات ظاهرة وأخرى مستترة، وأشكالا مختلفة من طقوس ورموز، فضلا عن اتساع دائرتها لتشمل القيم الثقافية، خصوصا ما يكشفه كتاب

(الأنتروبولوجيا البنيوية) للفرنسي كلود ليفي شتراوس، حيث توصف اللغة بمثابة وسيلة اتصالية بلا منازع، إلا أن هناك من أبعدها بأن تكون الوسيلة الأفضل والوحيدة للاتصال بحجة أنها تحوي على الكثير من الغموض والتقطعات على حد وصف كل من إدوارد هال وبرغسون بصفة خاصة. وهذا ما يجعلها وسيلة فقط من وسائل الاتصال، وعلى العموم جاء هذا التحليل نتيجة لسؤال قد طرح مفاده هل اللغة هي وسيلة اتصال بامتياز؟ وهل إذا انعدمت اللغة ينعدم الاتصال تبعا لذلك أم ماذا يحدث؟ و في هذا الشأن قد تعددت سياقات الإجابة، لكن الصريح من القول أن اللغة هي وسيلة من جملة الوسائل الأخرى للاتصال، وفي هذا الإطار انعكست تجربة أخرى بأسلوب مباشر على اللغة ونظامها التي عبرت عن فحوى الاتصال غير اللفظي عند كل من فردينان دي سوسير ورولان بارث في تعدد النماذج وتشعبها حول مفهوم السيميولوجيا (بوجمعة.2003. 396 /397) الذي يهتم بالعلم ويدرس الدلائل في مضمونها الاجتماعي، ومنه فإن هذا المفهوم قد أوضح صور الاتصال المتعددة في بعدها اللغوي الاجتماعي، وفي الممارسات المجتمعية التي تظهر فيها الانعكاسات اللغوية كشكل من أشكال بنى الوعي، والتي حددها ماركس بمقولته المشهورة أن الوجود المادي هو أساس الوعي الاجتماعي، ومن بين هذه الأشكال اللغة التي هي إحدى العناصر الأساسية في الثقافة الاجتماعية، كما يؤكد ذلك كوندرسيه في تعبيره أيضا أن هناك توافقا بين الواقع الاجتماعي والنسق المعرفي، ولا يوجد توترا بينهما وأن المعرفة ظاهرة مجتمعية(غورفيتش.1983. 56). تحمل ضروبا شتى متعددة الرموز من فنون وجمال، دين، ثقافة، ولغة، في هذا يشكل مفهوم الثقافة رافدا معرفيا وهما بحثيا، باعتباره من المنتجات العقلية وأحد الأساليب المتعددة للعلاقات والأنماط الاجتماعية، كما تهتم الثقافة برصد البدايات وتشارك في تحديد أفق التأسيسات نقدا وتفكيكا، إذ يشير غيلفورد غيرتز بالحث والاهتمام بالرمز الممارس للثقافة على وقع ما يبث عن ثقافة الأفراد، وهو نفس التوجه يساهم فيه كارل مانهايم عن ضرورة الإنتاج الذهني في ضوء العلاقات بالواقع(عبد الغني عماد.2006. 11)

خاتمة :

في المحصلة فإن معالجة مثل هذه المواضيع لأمر صعب للغاية، باعتبارها منفتحة على كل الاحتمالات الفلسفية واللغوية، وهو أن الفعل التواصلي جوهر مشترك بين كل التخصصات والأبعاد المعرفية والاجتماعية، لذلك فإن السفر في هذا الاتجاه كالسفر الممنوع بحسب تعبير نيتشه، ذلك أن البعد اللغوي له أهمية قصوى في تضمين الرمز الذي يكون بدوره حاملا للمعنى كمنطلق تواصلي، في هذا الشكل التحليلي يطرح هايدغر رؤيته بأنه لابد أن يتصاعد وبعمق فهم الظاهرة التواصلية في معناها التعددي والانطولوجي، وبالجملة فإن السوسيولوجيا مهيمنة على كل بؤر الظواهر المجتمعية، وتمتلك أفق التوقعات للوقائع والإشكاليات المطروحة إزاء المعايير الثقافية والاجتماعية، وهي دائمة الاتصال بقضايا المجتمع وبأزماته وصراعاته الرمزية والمادية الراهنة.

المراجـــــع :

- أحمد أوزي(2008).منهجية البحث وتحليل المضمون .مطبعة النجاح الجديدة المغرب ط2.
- الذوادي محمود، (2012) الإنسان كائن ثقافي بالطبع، مجلة العربي، الكويت، ع 640.
- العجاتي محمد أحمد (2003) تطور الثقافة الرأسمالية وتأثيرها في الثقافة العربية. المستقبل العربي (29)، بيروت.
- الهيتي هادي نعمان،(2003) إشكالية المستقبل في الوعي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1.
- بن روان بلقاسم. (2007). وسائل الاعلام والمجتمع. دار الخلدونية. ط1. الجزائر
- بن عيسى حنفي.(1990) محاضرات في علم النفس اللغوي.ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.ط3.
- بوجمعة رضوان.(2003/2002).الاتصال غير اللفظي. المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والإعلامية.ع2. الجزائر.
حسام الدين فياض (2017). نحو علم اجتماع تنويري (الثقافة واللغة). https://archive.org/details/hosamfayad729_gmail_201705

.ديكون تيرنس دبليو (2014) الانسان . اللغة . الرمز (التطور المشترك للغة والمخ). ت جلال شوقي . المركز القزمي للترجمة. ط1. القاهرة
- رشوان عبد الحميد أحمد،(2006) الثقافة (دراسة في علم الاجتماع الثقافي) مؤسسة الشباب الجامعي، الاسكندرية، ط1.
- زغدودة ذياب. (2005).علاقة اللسانيات بعلم الاجتماع وعلم النفس والانتروبولوجيا.مجلة عالم التربية.ع16. دار البيضاء
- زمام نور الدين،(2007) القوة السياسية والتنمية (دراسة في علم الاجتماع السياسي)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1.
- سليم جهان وآخرون، (2003) عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة. المستقبل العربي (29)، بيروت.
.عبد الغني عماد (2006)سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والاشكاليات .. من الحداثة الى العولمة). مركز دراسات الوحدة العربية. ط1 . بيروت .
- عثمان عيسى إبراهيم(2008) النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، ط1.الأردن.
.عمر مهيبل (2005).إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة. منشورات الاختلاف ط1. الجزائر.
-غورفيتش جورج.(1983).الأطر الاجتماعية للمعرفة.ت خليل احمد خليل.ديوان المطبوعات الجامعية.ط1.الجزائر
- قاسيمي ناصر (2011).الاتصال في المؤسسة .ديوان المطبوعات الجامعية. ط1.الجزائر .
- مالك بن نبي، (1985) شروط النهضة، ت عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.
.مخلوف بوكروح (2011). التلقي في الثقافة والإعلام .منشورات الاختلاف.ط1. الجزائر .